بِسْمِ اللَّهِ الرَّحْمَٰنِ الرَّحِيمِ

سورة ألم نشرح مكية

أَلَمْ نَشْرَحْ لَكَ صَدْرَكَ ﴿١﴾.

استفهم عن انتفاء الشرح على وجه الإنكار فأفاد إثبات الشرح وإيجابه فكأنه قيل: شرحنا لك صدرك ولذلك عطف عليه وضعنا اعتبارًا للمعنى. ومعنى شرحنا صدرك. فسحناه حتى وسع هموم النبوّة ودعوة الثقلين جميعًا، أو حتى احتمل المكاره التي يتعرض لك بها كفار قومك وغيرهم، أو فسحناه بما أودعناه من العلوم والحكم.

وَوَضَعْنَا عَنكَ وِزْرَكَ ﴿٢﴾.

وأزلنا عنه الضيق والحرج الذي يكون مع العمى والجهل. وعن الحسن: ملئ حكمةً وعلمًا. وعن أبي جعفر المنصور أنه قرأ: ألم نشرح لك بفتح الحاء. وقالوا لعله بين الحاء واشبعها في مخرجها فظنّ السامع أنه فتحها.

ٱلَّذِىٓ أَنقَضَ ظَهْرَكَ ﴿٣﴾.

والوزر: الذي أنقض ظهره أي: حمله على النقيض وهو صوت الانتقاض والانفكاك لثقله، مثل لما كان يثقل على رسول الله ﷺ ويغمه من فرطاته قبل النبوّة، أو من جهله بالأحكام والشرائع، أو من تهالكه على إسلام أولي العباد من قومه وتلهفه. ووضعه عنه أن غفر له، أو علم الشرائع، أو مهد عذره بعد ما بلغ وقرأ أنس وحللنا وحططنا. وقرأ ابن مسعود: وحللنا عنك وقرك.

وَرَفَعْنَا لَكَ ذِكْرَكَ ﴿٤﴾.

ورفع ذكره أن قرن بذكر الله في كلمة الشهادة والأذان والإقامة والتشهد والخطب وفي غير موضع من القرآن. ﴿والله ورسوله أحق أن يرضوه﴾[1] ﴿ومن يطع الله ورسوله﴾[2] ﴿وأطيعوا الله وأطيعوا الرسول﴾[3] وفي تسميته رسول الله ونبي الله ومنه نكره في كتب الأوّلين والأخذ على الأنبياء وأممهم أن يؤمنوا به.

فإن قُلْتَ: أي فائدة في زيادة لك والمعنى مستقل بدونه[4]؟ **قُلْتُ:** في زيادة لك ما في طريقة الإبهام والإيضاح. كأنه قيل: ألم نشرح لك ففهم أن ثم مشروحًا. ثم قيل: صدرك. فأوضح ما علم مبهمًا، وكذلك لك ذكرك وعنك وزرك.

فَإِنَّ مَعَ ٱلْعُسْرِ يُسْرًا ﴿٥﴾.

فإن قُلْتَ: كيف تعلق قوله: ﴿فإنّ مع العسر يسرا﴾ بما قبله؟ **قُلْتُ:** كان المشركون يعيرون رسول الله ﷺ والمؤمنين بالفقر والضيقة حتى سبق إلى وهمه أنهم رغبوا عن الإسلام لافتقار أهله واحتقارهم فذكره ما أنعم به عليه من جلائل النعم. ثم قال: فإنّ مع العسر يسرا. كأنه قال: خولناك ما خولناك فلا تيأس من فضل الله فإنّ مع العسر الذي أنتم فيه يسرا.

فإن قُلْتَ: إن مع للصحبة فما معنى اصطحاب اليسر والعسر؟ **قُلْتُ:** أراد أن الله يصيبهم بيسر بعد العسر الذي كانوا فيه بزمام قريب، فقرّب اليسر المترقب حتى جعله كالمقارن للعسر زيادةً في التسلية وتقوية القلوب.

فإن قُلْتَ: ما معنى قول ابن عباس وابن مسعود رضي الله عنهما: لن يغلب عسر يسرين[5]. وقد روي مرفوعًا أنه خرج ﷺ ذات يوم وهو يضحك ويقول لن يغلب عسر يسرين! **قُلْتُ:** هذا عمل على الظاهر وبناء على قوّة الرجاء، وأن موعد الله لا يحمل إلا على أوفى ما يحتمله اللفظ وأبلغه والقول في أنه يحتمل أن تكون الجملة الثانية تكريرًا للأولى كما كرّر قوله: ﴿ويل يومئذٍ للمكذبين﴾[6] لتقرير معناه في النفوس وتمكينها في القلوب. وكما يكرر المفرد في قولك: جاءني زيد زيد، وأن تكون الأولى عدة بأنّ العسر مردوف بيسر لا محالة.

إِنَّ مَعَ ٱلْعُسْرِ يُسْرًا ﴿٦﴾.

والثانية عدة مستأنفة بأنّ العسر متبوع بيسر فهما يسران على تقدير الاستئناف وإنما كان العسر واحدًا لأنه لا يخلو إما أن يكون تعريفه للعهد وهو العسر الذي كانوا فيه فهو هو لأنّ حكمه حكم زيد في قولك: إن مع زيد مالاً، إن مع زيد مالاً. وإما أن يكون للجنس الذي يعلمه كل أحد فهو هو أيضًا وأما اليسر فمنكر متناول لبعض الجنس فإذا كان الكلام الثاني مستأنفًا غير مكرر فقد تناول بعضًا غير البعض الأوّل بغير إشكال.

فإن قُلْتَ: فما المراد باليسرين؟ **قُلْتُ:** يجوز أن يراد بهما ما تيسر لهم من الفتوح في أيام رسول الله ﷺ وما تيسر لهم في أيام الخلفاء، وأن يراد يسر الدنيا ويسر الآخرة. كقوله تعالى: ﴿قل هل تربصون بنا إلا إحدى الحسنيين﴾[7] وهما حسنى الظفر وحسنى الثواب.

---

(1) سورة التوبة، الآية: 62.

(2) سورة النور، الآية: 52.

(3) سورة المائدة، الآية: 92.

(4) قال أحمد: وقد تقدّم عند الكلام على نظيرها في قوله: ﴿قال رب اشرح لي صدري، ويسر لي أمري﴾ قريب من هذا المعنى، والله أعلم.

(5) أخرجه عبد الرزاق عن جعفر بن سليمان عن ميمون أبي حمزة عن إبراهيم عن ابن مسعود، ابن حجر ص 185.

(6) سورة الطور، الآية: 11.

(7) سورة التوبة، الآية: 52.

فإن قُلْتَ: فما معنى هذا التنكير؟ **قُلْتُ:** التفخيم. كأنه قيل: إن مع العسر يسرًا عظيمًا وأي يسر. وهو مصحف ابن مسعود مرة واحدة.

فإن قُلْتَ: فإذا ثبت في قراءته غير مكرر فلم قال: والذي نفسي بيده لو كان العسر في حجر لطلبه اليسر حتى يدخل عليه إنه لن يغلب عسر يسرين! **قُلْتُ:** كأنه قصد باليسرين ما في قوله: يسرًا من معنى التفخيم فتأوله بيسر الدارين وذلك يسران في الحقيقة.

فإن قُلْتَ: فكيف تعلق قوله:

فَإِذَا فَرَغْتَ فَانصَبْ ﴿٧﴾.

﴿فإذا فرغت فانصب﴾ بما قبله؟ **قُلْتُ:** لما عدد عليه نعمه السالفة ووعده الآنفة بعثه على الشكر والاجتهاد في العبادة والنصب فيها، وأن يواصل بين بعضها وبعض ويتابع ويحرص على أن لا يخلى وقتًا من أوقاته منها فإذا فرغ من عبادة ذنبها بأخرى. وعن ابن عباس: فإذا فرغت من صلاتك فاجتهد في الدعاء. وعن الحسن: فإذا فرغت من الغزو فاجتهد في العبادة. وعن مجاهد: فإذا فرغت من دنياك فانصب في صلاتك. وعن الشعبي أنه رأى رجلاً يشيل حجرًا فقال: ليس بهذا أمر الفارغ وقعود الرجل فارغًا من غير شغل، أو اشتغاله بما لا يعنيه في دينه أو دنياه من سفه الرأي وسخافة العقل واستيلاء الغفلة. ولقد قال عمر رضي الله عنه: إني لأكره أن أرى أحدكم فارغًا سبهللاً لا في عمل دنيا ولا في عمل آخره[1]. وقرأ أبو السمال: فرغت بكسر الراء وليست بفصيحة. ومن البدع ما روي عن بعض الرافضة أنه قرأ فانصب بكسر الصاد أي: فانصب عليًا للإمامة، ولو صح هذا للرّافضي لصح للناصبي أن يقرأ هكذا ويجعله أمرًا بالنصب الذي هو بغض علي وعداوته.

وَإِلَىٰ رَبِّكَ فَارْغَب ﴿٨﴾.

﴿وإلى ربك فارغب﴾ واجعل رغبتك إليه خصوصًا ولا تسأل إلا فضله متوكلاً عليه. وقرئ: فرغب أي: رغب الناس إلى طلب ما عنده. عن النبي ﷺ: «من قرأ ألم نشرح فكأنما جاءني وأنا مغتم ففرّج عني»[2].

بِسْمِ اللَّهِ الرَّحْمَٰنِ الرَّحِيمِ

سورة التين مكية

وَالتِّينِ وَالزَّيْتُونِ ﴿١﴾.

أقسم بهما لأنهما عجيبان من بين أصناف الأشجار المثمرة. وروي أنه أهدى لرسول الله ﷺ طبق من تين فأكل منه، وقال لأصحابه: «كلوا، فلو قلت أنّ فاكهة نزلت من الجنة لقلت هذه. لأنّ فاكهة الجنة بلا عجم، فكلوها فإنها تقطع البواسير وتنفع من النقرس»[3]. ومرّ معاذ بن جبل بشجرة الزيتون فأخذ منها قضيبًا واستاك وقال: إنه سمعت رسول الله ﷺ يقول: «نعم السواك الزيتون من الشجرة المباركة يطيب الفم ويذهب بالحفرة»[4]. وسمعته يقول: «هي سواكي وسواك الأنبياء قبلي». وعن ابن عباس رضي الله عنه: هو تينكم هذا وزيتونكم وقيل: جبلان من الأرض المقدّسة يقال لهما: بالسريانية: طور تينًا وطور زيتًا لأنهما منبتا التين والزيتون. وقيل: التين جبال ما بين حلوان وهمدان، والزيتون جبال الشام لأنها منابتهما. كأنه قيل: ومنابت التين والزيتون.

وَطُورِ سِينِينَ ﴿٢﴾.

وأضيف الطور، وهو الجبل إلى سينين وهي البقعة. ونحو سينون يبرون في جواز الإعراب بالواو والياء والإقرار على الياء وتحريك النون بحركات الإعراب.

وَهَٰذَا الْبَلَدِ الْأَمِينِ ﴿٣﴾.

والبلد: مكة حماها الله. والأمين: من أمن الرجل أمانةً فهو أمين. وقيل: أمان، كما قيل: كرام في كريم، وأمانته أن يحفظ من دخله كما يحفظ الأمين ما يؤتمن عليه. ويجوز أن يكون فعيلاً بمعنى مفعول من أمنه لأنه مأمون الغوائل، كما وصف بالأمن في قوله تعالى: ﴿حرمًا آمنًا﴾[5] بمعنى: ذي أمن. ومعنى القسم بهذه الأشياء الإبانة عن شرف البقاع المباركة وما ظهر فيها من الخير والبركة بسكنى الأنبياء والصالحين. فمنبت التين والزيتون مهاجر إبراهيم ومولد عيسى ومنشؤه، والطور: المكان الذي نودي منه موسى. ومكة: مكان البيت الذي هو هدىً للعالمين، ومولد رسول الله ﷺ ومبعثه.

لَقَدْ خَلَقْنَا الْإِنسَانَ فِي أَحْسَنِ تَقْوِيمٍ ﴿٤﴾.

---

(1) حديث عمر قال عنه الزيلعي 4/236 وحديث ابن مسعود أخرجه ابن أبي شيبة 13/300 كتاب: الزهد، باب: كلام ابن مسعود.

(2) ذكره الثعلبي وابن مردويه والواحدي في تفاسيرهم، الزيلعي 4/237.

(3) أخرجه أبو نعيم في كتاب: الطب، الزيلعي 4/241.

(4) رواه الطبراني في الأوسط والثعلبي في تفسيره، الزيلعي 4/242.

(5) سورة القصص، الآية: 57.